# الأسرة والتربية الاسلامية

للأستاذ عبد المنصف محمود
واعظ مركز شبين القناطر

٣

لهذا لم يشأ ديننا الحنيف أن يترك الرجل يسير وراء شهواته ورغباته فى اختيار قرينه له يسكن إليها وتسكن إليه ، دون أن يوجهه الوجهة السليمة ويرشده إلى الخطة المثلى ، فحثه على انتقاء الزوجة المتدينة : ذات الخلق الكريم والسلوك المستقيم والذوق السليم ، عسى أن ينجب منها ذرية أطهارا ، يكونون موضع الفخر وزينة العمر ، يعتز بهم المجتمع وتسعد بهم الأمة روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » فقوله صلى الله عليه وسلم : « فاظفر بذات الدين » هذا الأصل وبه ينبغى أن يقع الاعتناء ؛ لأن اللائق بذوى المروءة ، أن يكون الدين رائدهم فى كل شىء لاسيما فيما يدوم أمره ، ويعظم قدره كالزواج ولذلك عبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم : بالظفر الذى هو غاية البغية ومنتهى الاختيار ، وبالطلب الدال على تضمن المطلوب لنعم عظيمة وفوائد جليلة ؛ فإن ذات الدين تربح الرجل وتعينه على خيرى الدنيا والآخرة . روى ابن ماجة عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عيه وسلم أنه قال : « لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يردين ، ولا تتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغين ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سواء ذات دين أفضل » وقال عليه الصلاة والسلام : ومن نكح أمرأة لمالها وجمالها ، حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزق الله مالها وجمالها » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « تربت يداك » أى افتقرتا إن خالفت ما أمرتك به ، قال بعض

العلماء : ومعناه فى الأصل : لصقت يده بالتراب ويلزمه الفقر . . . وهى كلمة جارية على ألسنتهم لا يراد بها حقيقة الدعاء ، بل الحث على ذات الدين فيوافق قوله تعالى : « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » إذاً فالصالح هو صاحب الدين . . فشرف البيوت ومجد الأسر يرجع إلى التمسك بتعاليم الدين وآدابه ، والاتصاف بتقوى الله والخضوع لجنابه قال الله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » . وليس يرجع كما يفهم بعض المفتونين قصار النظر إلى الجاه أو السلطان أو الحسب أو كثرة المال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه ويصل رحمه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه » . . . فالزوجة الصالحة : بشير السعادة ، ومهبط الرحمة وملاك العصمة ومعدن النعمة وجنة الدنيا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليتخذن أحدكم قلباً شاكراً ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته » وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » رواه مسلم والنسائى . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ، إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله » . وصدق الله العظيم حيث يقول : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » . . ولله در القائل :

ألا إن النساء خلقن شتى
فمنهن الغنيمة والغرام
ومنهن الهلال إذا تجلى
لصاحبه ومنهن الظلام
فمن يظفر بصالحهن يظفر
ومن يغبن فليس له انتظام

ثم إنه إذا وجد بجانب الدين حسب أو مال وجمال ، كان حسنا ؛ لأن الزوجة إذا كانت ذات حسب ( أى شرف ) أكسبت أولادها عزة ومجدا وفخارا ، وإذا كانت على جانب من الثراء ، فقد تستغنى بمالها عن مطالبة زوجها بما يحتاج إليه أمثالها من النساء . وإذا كانت ذات جمال ، كان ذلك أدوم ألفة من المال ؛ لأن

الجمال صفة لازمة ، والمال عرض زائل ، فإن سلم الجمال من الإدلال والطغيان وكانت هناك موافقه ، دامت الألفة واستحكمت الوصلة ، وما ذاك إلا لأن الجمال مطلوب فى كل شيء ، لا سيما فى المرأة التى تكون قرينة وعشيرة ، روى الحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « خير النساء من تسر إذا نظرت ، وتطيع إذا أمرت » . ولأمره صلى الله عليه وسلم من يريد التزوج بالنظر إلى المخطوبة للوقوف على جمالها ، على أن يكون ذلك بحضرة ولى أمرها أو ذى رحم محرم منها ، فقد روى عنه جابر رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خطب أحدكم المرأة ، فإن استطاع أن ينظر منها ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » رواه أبو داود وأحمد وله تتمة قال جابر : « فخطبت جارية فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعانى إلى نكاحها فتزوجتها » . وروى عنه أيضا أنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطبت امرأة : « انظر إليها ؛ فانه أحرى أن يؤدم بينكما » أى يكون النظر مدعاة إلى الألفة والاتفاق . .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن؟ قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء ، وورد فى الأثر : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » وروى أن أعرابيا قال لبنيه : « قد أحسنت إليكم صغاراً وكبارا وقبل أن تولدوا » قالوا : « وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ » فأجاب بقوله : « اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها » وأنشد الرياشى :

وأول إحسانى إليكم تخيرى
لماجدة الأعراق باد عفافها

فغالب الصفات التى تتصف بها المرأة ، سواء أكانت صفات حسن أو قبح موروثة ، وأن هذه الصفات كما قرره بعض العلماء : لها وجود حقيقى فى النطفة ، والنطفة كما هو معلوم أمشاج تخلق من افرازات جميع أجزاء الجسم ، فليس بغريب أن تكون جنينا على مثال الأصل الذى نشأت عنه ونبعت منه . . وهذا السر الغريب هو سر مشابهة الفروع للأصول ، وسر اشتهار بعض الأسر بصفة من الصفات الجسمية والخلقية .

فالطفل صورة مصغرة من أبويه يرث منهما كثيرا من الصفات الفاضلة أو السيئة ، وقديما قيل : « العصا من العصية ، والحية لا تلد إلا حية » .

« يتبع »